

## «صالة أوفانيلي» رواية تصح نظرة العداة الشعبوي لليهود

### أشرف العشماوي: أفتش في التاريخ لأذيب جفافه بالخيال والحكايات



خربشت الكراهية وجه الحقائق، فسرت نظرة التفسير والتخويف تجاه اليهود في مجتمعاتنا العربية. وذلك بسبب خلط الجاهل وأنصاف الساسة بين الصهيونية وكفكرة إقصائية، معادية للسلام، وبين الدين اليهودي السماوي وما يتضمنه من قيم روحية وأخلاقية. وإن انخرط الأدب في هذه الحملات فإن هناك الكثير من العقلاء الذين أسقطوا هذه النظرة المغلوطة، ومن بينهم الروائي المصري أشرف العشماوي، الذي كان لـ «العرب» معه هذا الحوار.

مصطفى عبيد  
كاتب مصري

لم يمض الأدب العربي بعيدا عن خطاب الكراهية لليهود، المستمد من صراع لم يكن في حقيقته مع الدين اليهودي، وإنما مع دولة إسرائيل، وصورت معظم الروايات اليهود تصويرا شديد السلبية.

وقبل أيام في القاهرة احتفى جمهور الأدب، برواية جديدة لأشرف العشماوي بعنوان «صالة أوفانيلي»، نهج فيها مسار سرد التاريخ بلغة مغايرة، وهو ذاته نهج رواياته التاريخية السابقة، غير أنه أعاد هذه المرة تقديم الشخصية اليهودية باعتبارها مصرية أصيلة، بعيدا عن الخطاب التحريضي المعتاد، وتعرض ضمن خلفيات رواياته لمعاناة عائلات يهودية في مصر بسبب تحولات السياسة، دون أن تكون طرفا أصيلا فيها.

### تشخيص دقيق

يقول أشرف العشماوي، لـ «العرب»، إنه يرى اليهود المصريين كاشخاص طبيعيين، وليسوا أشرا بالقطرة كما تم تصويرهم من قبل، ولا يختلفون عن أي مواطن آخر في شيء، فمنهم الطبيون، وربما الطبيون جدا، ومنهم الأشرار، ولا يمكن التشكيك في انتماء اليهود في مصر أو في العالم العربي بلبلادهم، مجرد أنهم يهود، وهو ما تطلب منه أن يعيد قراءة تاريخ اليهود في مصر بشكل أكثر حيادية، ودون تحيز أو ربط في المطلق بين اليهود وبين دولة إسرائيل. ويوضح أن تعرضه لليهود جاء من منطلق أن أحداث روايته تدور في صالة مزادات، وقد كان لليهود تأثير كبير في عالم المزادات.

يرى الروائي المصري أن ما تردد، وبقي لسنوات في العقل الجمعي عن كراهية اليهود المصريين، مرجعه دور الإعلام العربي والمصري في فترة الخمسينات والستينات، عندما استهدفت الآلة الإعلامية تشويه اليهود وتصويرهم أنهم طابور خامس لإسرائيل، وأن اعتقاده الشخصي وإيمانه بالعدالة دفعاه للقول إن ذلك غير دقيق.

تدور رواية «صالة أوفانيلي» حول شريكين مصريين، أحدهما يهودي، وهو الأكثر طيبة، يؤسسان معا صالة مزادات في الثلاثينات ليمدا علاقات واسعة وكبار رجال الدولة المصرية، والأثرياء والأجانب، وتدور حكايات مذهشة حول التسابكات الاجتماعية لحاشية الملك، وخيوط الفساد.

تتابع الأحداث السياسية ويتم الضغط على اليهود شعبيا، بعد تأسيس دولة إسرائيل، وصعود جماعة الإخوان المسلمين، ويتعرضون لتفجيرات وحوادث إرهابية وازدراء سلطوي بعد ثورة يوليو 1952، فيضطر بعضهم للهرب، والبعض الآخر لتزوير هوياتهم. تنبئ النظرة المنصفة لليهود خارج إطار العداة التقليدي، توقعات بانتقاد الرواية من خارج جمهور الأدب بدعوى مغالطة اليهود، وهو ما لا يضع له الروائي أي اعتبار.

يقول العشماوي، إنه عانى من قبل من الاتهام بمغالطة اليهود عندما كتب رواية «تذكرة وحيدة للقاهرة»، ونشرها عام 2016، لأنه قدم فيها شخصية مدام بارديان اليهودية العظوفة التي كانت تعاون أهل النوبة وتساعدهم.

## وفاء موصلي: الدراما عمل حضاري وثقافي

دمشق - لعبت الفنانة وفاء موصلي أدواراً كثيرة في الدراما السورية، وكان لها بصمة مميزة في أدائها وحضورها على المستوى الفني، حيث أغنت أدوارها بالإبداع ودراسة الشخصيات التي تؤديها.

وترى موصلي أن الدراما تلعب دوراً مهماً في تقديم حضارة وثقافة الشعوب والبلدان، لذلك لا بد من الحفاظ على جودتها وحمايتها من السلبات حتى تعطى الشكل الأمثل للمجتمع الذي تمثله، رغم ما تتعرض له من ظروف ومصاعب.

وتلفت موصلي إلى أنها لا تحب عملاً دون آخر، وإلى أن كل أنواع التمثيل متساوية عندها، الجاد والكوميدي وغير ذلك، شرط أن تكون ذات قيمة، إذ لا ترغب في التوقع في بيئة معينة سواء أكانت شامية أو غيرها.

وتشير الفنانة إلى أن أكثر ما تحب من أدوارها هو دور فريال في باب الحارة، التي بذلت قصارى جهدها لتمثيلها معها، وأصبحت مقنعة للمتلقى ووصلت إلى ذلك برغم أن فريال كانت غير متعلمة وهي انفعالية عكس شخصيتها الحقيقية، وفريال تحب الصراخ وهذا ما تطلب بذل جهد كبير لإيقانته.

وبيّنت موصلي أن الدراما تأثرت بسبب الحرب وتراجعت نتيجة الحصار عليها والعقوبات والمقاطعة من الدول العربية والدول الأخرى، وهناك شركات أنتجت أعمالاً لا علاقة لها بالفن.

وتضيف «هناك بعض المخرجين ارتاحوا للعمل معهم وهم من يحملون رسالة ولا يكتفون للربح على حساب العمل، لأن هذا ينعكس سلباً وليست مع من يعمل للكسب على حساب جودة العمل، والأفضل من يسعى لنجاح الفنان وإظهار ما بداخله بصديق».

## «عودة شيشناق» مسرحية جزائرية عن ملك فرعوني

بهدة المنطق، وذلك من خلال تقاطع بين التاريخ والخيال والأحداث، نقل رسائل المحاربين الشجعان والبواسل إلى الأجيال القادمة.

وقد اعتبر، مخرج المسرحية، عمار سيمود أن شخصية شيشناق لم تزل حقه كما ينبغي في الأعمال الفنية، الأمر الذي حفزه على تسليط الضوء أكثر على تاريخ هذا الملك.

وصرح المخرج بأن «ربط التقييم الأزاعيغي باعتلاء شيشناق رتبة فرعون مصر ومؤسس العائلة الفرعونية الحاكمة الـ 22 يستدعي فهما أفضل لهذا الملك الأزاعيغي».

كما أكد على أن هذا العمل قد منح الفرصة للعديد من الممثلين الشباب الذين وصفهم بأنهم «مواهب حقيقية» ليظهروا لأول مرة على ركب المسرح الجهوي لقسنطينة «محمد الطاهر الفرقاني».

وتجر الإشارة إلى أن هذه المسرحية تعد العمل الثاني لعمار سيمود الذي يخصص لإحياء رأس السنة الأزاعيغية الجديدة، بعد مسرحية أولى بعنوان «ينابير» التي يعود تاريخ إنتاجها إلى سنة 2018.



استعادة مسرحية لتاريخ مثير للجدل

### لا أشرف في كتابة رواية إلا إذا رأيت أحداثها بالكامل

في «توبا»، قال «إن الفكرة عندي لا ترتبط بالمنوع أو المرغوب، وإنما أنا أكتب ما يشغلني وما يلح عليّ ذاكرتي وما يجذبني ويلتصق في وجداني». ويعترف بأنه لا يشرف في كتابة رواية إلا إذا رأى أحداثها بالكامل أمامه، كأنها تحدث بالفعل، وفي بعض الأحيان قد يغير بعض التفاصيل في أثناء الكتابة، لكنه ينطلق في رحلة الكتابة بعد أن تختم غالبية الأحداث في ذهنه.

### في روايته الجديدة يصح العشماوي النظرة إلى اليهود المصريين ويمد خيوطا من الخيال ترتبط بأحداث حقيقية ومدروسة

ويبدو العشماوي غير راض حتى الآن عن إبداعه، وكلمة صدرت له رواية جديدة يقول لنفسه بعد تصفحها كان من الممكن عمل كذا وكذا. فدائماً هناك نقد ذاتي لأعماله، وأحياناً لا يصقق أنها تعجب الناس، ويتصور أن الأمر يحمل مجاملة، ويسعد كلما سمع نقداً، أو لفت أحد نظره لأمر ما، ويسعى لتطوير أدواته ولغته لمزيد من التجويد، فالكتاب الذي لا يتطور ويتعلم ويسعى دائماً نحو الأفضل «يفقد تأثيره وحيوته وجمله».

يلزم العشماوي بعض الشعور بأنه لم يكتب بعد الرواية العظيمة، ويتصور أن الأجل لم يات بعد، ويحمل في رأسه أفكاراً عديدة، ويعيش حياته اليومية، وهذه الأفكار تدور وتتقافز داخله، ولا يدري يقينا إن كان يستطيع أن يروي كل ومزدهمة بالأحداث المثيرة والتقلبات السياسية والاجتماعية، وهناك الكثير من القصص والحكايات الدرامية التي لم تكتب بعد، وتراوده ثلاث أفكار لروايات طويلة تدور خلال تلك الفترة، وذلك لا يمنع أن لديه أفكاراً وتصورات بعوالم أخرى مختلفة، لكنه يحرص أن تكون الطريقة التي يقدم بها فكرته جديدة وجذابة، ومفضية لعدم تكرار شخصوه.

وحول انجذابه لموضوعات وقضايا شائكة مثل قصة أهل النوبة في روايته «تذكرة وحيدة للقاهرة»، أو قضية الفتنة الطائفية في رواية «بيت القبطية»، أو صراع الهويات

ويبدو العشماوي في روايته خيوطاً من الخيال لترتبط بأحداث حقيقية من رحلة بحث طويلة تستهدف تقديم الإنسان وعلاقاته بمن حوله، وهنا كان المراد كطائر لرسم ما يمكن للمرء اختياريه وما يفرض عليه بسبب ظروف اقتصادية أو اجتماعية.

تعتمد رواية «صالة أوفانيلي» على ثلاثة أصوات لشخص متباعدة يحكي كل منهم شهادته، وهي قيمة شبيهة متكررة في معظم روايات العشماوي، حيث يحاول رسم الشخصية بعناية أولاً قبل أن يتفحصها ليتحدث بصوتها، معبراً عن مشاعرها وتصوراتها للحياة، وهو أمر ضروري لإقناع القارئ بواقعية الشخصيات.

من هنا كان لا بد من اختيار عبارات ولزيمات وأساليب وطرق سرد تناسب كل شخصية من الشخصيات لإبراز صوتها، ولتمييزها عن غيرها، وهذا ما اجتهد فعلاً فيه ويتبنى أن يكون قد نجح في توصيل فكرته للقارئ.

ويشير لـ «العرب»، إلى أن فترة البحث والاستكشاف استغرقت منه نحو 12 شهراً، بينما استغرقت كتابة الرواية نفسها ما يقرب من 18 شهراً. يقوم العشماوي عند كتابة رواياته بعمل بروفات عديدة ويقوم بمراجعتها وتعديلها عدة مرات، ويصل عدد بروفاته في بعض الأحيان إلى خمس بروفات، غير أن الرواية الأخيرة شهدت عمل ست بروفات متتالية.

### الشغف بالتاريخ

يلفت الأديب المصري، إلى أنه بميل عادة للكتابة عن النصف الأول من القرن العشرين، لأنها فترة خصبة وخلاصة ومزدهمة بالأحداث المثيرة والتقلبات السياسية والاجتماعية، وهناك الكثير من القصص والحكايات الدرامية التي لم تكتب بعد، وتراوده ثلاث أفكار لروايات طويلة تدور خلال تلك الفترة، وذلك لا يمنع أن لديه أفكاراً وتصورات بعوالم أخرى مختلفة، لكنه يحرص أن تكون الطريقة التي يقدم بها فكرته جديدة وجذابة، ومفضية لعدم تكرار شخصوه.

وحول انجذابه لموضوعات وقضايا شائكة مثل قصة أهل النوبة في روايته «تذكرة وحيدة للقاهرة»، أو قضية الفتنة الطائفية في رواية «بيت القبطية»، أو صراع الهويات

ويذكر أنه من المؤمنين أن الأدب إبداع إنساني في المقام الأول، وأي شخصية إنسانية تحتمل الصلاح والفساد، وتناجح بين الأبيض والأسود، لذلك فمن الطبيعي أن يكون يهود مصر، مثل أقباطها ومسلميها، منهم الخير ومنهم الأشرار.

وأشرف العشماوي، روائي مصري يعمل في سلك القضاء، من مواليد محافظة الجيزة، القريبة من القاهرة عام 1966، بدأ مشروعه الإبداعي من خلال كتاب حمل عنوان «زمن الضباع»، ثم أصدر روايته «توبا» عام 2010، رشحت للقايسة الطويلة للبوكر العربية، ثم صدرت له روايات جذبت جمهوراً واسعاً، هي: «المشرد»، «البارمان»، و«كلام الراعي» التي حصلت على جائزة أفضل رواية تاريخية في ملتقى البحرين الثقافي.

وأصدر رواية «تذكرة وحيدة للقاهرة»، ثم «سيدة الزمالك»، بعد ذلك جاءت رواية «بيت القبطية»، وترجمت معظم أعماله إلى الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية.

### رحلة للبحث

يكشف العشماوي أنه اعتمد في روايته على مصادر عديدة ومتنوعة، منها أرشيف دار الوثائق القومية، وأرشيف مؤسسة الأهرام، كما التقى اثنين من اليهود المصريين، من كبار السن، عاشوا في مصر خلال حقبة الأربعينات والخمسينات، وتجاوز معهما عن مشاعرهما تجاه مختلف الأحداث التي مرأ بها.

ويتابع قائلاً «لقد زرت أيضاً حارة اليهود في القاهرة عدة مرات، وعرفت من شهود التاريخ حكايات مذهشة ومفيرة، احتفظ ببعضها لروايات أخرى».

وقام الروائي المصري بزيارات لعدد من صالات المزادات الكبرى للتعرف على أصول المهنة ومشاعر العاملين فيها واهتمامات الزوار، وتعبيرات الرواد عند الربح والخسارة، وطرق المزايدة وتفاصيلها وكل شيء له علاقة بها، وتحدث مع بعض أصحاب الصالات وتجار الأثاث الفاخر والمقتنيات النادرة وخبراء تخمين التحف ليفهم منهم طرق الخداع والغش.

